انتظـــار . . .

للأســـتاذ عمر النص

أقبلي ... أقبلي ... فقد عس اللي ... ل وغام الفضاءُ في ناظريًا
السماء الأكناف ترهق أنفا ... سي وتلقى النذير في أذنيا
أقبلي - فالظلام يوقر نفسي ... نزوات ... ويوقظ الشجو فيا
والرياح الضباب تلطم شبا ... كي وتدوي خلف الزجاج دويا
والحيا دافق ... يطير مع الري ... ح وتجري به سخيًا سخيا !
وتبـــاح الكلاب يخنقه القـ ... ـر وتمضي به الرياح قصيا ...
أقبلي ... فالظنون يا ليل تأبى ... أن أحس النعاس في جفنيا
وأنا في ترقبي ... أفتح البا ... ب وأرنو ... على أطالع شيا
أسأل الليل : ما وراءك يا لي ... ل ... وأصغي إلى الرياح حفيا
أنا في موقفي ... تحدق عينا ... ي ... ويسعى بي الخيال مليا
كلما مر في الدجى ذو جناح ... كدت أنوي أضمه بيـــديا
وكأني أراه يُشـــفق مني ... فيكاد الفؤاد يصرخ : حيا !
... أي شيء تُرى أعاقك عني ... بعد ما أرهف الصدى أذنيا
أي درب سلكته فاضلت ... فيه أقدامك الطريق إليا ؟ !
طال ليلي ... ولم أزل أفتح الصد ... ر وأستقبل الظلام الدجيا
كلما صحتُ في الفضاء لياذ ... ضاع صوتي ... ومات في شفتيا
ليت شعري ألم يحن لفؤادي ... أن يرى في الحياة شيئًا رضيا
مزقتـــه يد الفراق ومهما ... هو ما زال بالفراق شقيا !

إيه ليلاي ... لم أعد أرقب الأفـــق ... وإن كنت قد مددت يديا
أنا باقٍ هنا أجاهد إخفا ... قي وأخفي الحياء في نظريا
طاش حلمي ... وكدت أفقد صبري
وتجـــلى الشحوب في وجنتيا ...
أنا باقٍ هنا ... وقد نصل الليـل ... فردي لي الخيال النديا
ودعيني لوحدتي ... أغلق البا ... ب وأبكي ... فلست أملك شيا !!

(دمشق) عمر النص

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

قصة الدموع التي شابت :

جاء إلى الحياة والدمع في عينيه ، ورحل عنها والدمع في عينيه ... وتلك هي قصته : قصة الدمع الذي شاب والشعر في سواد الليل ، والروح الذي اكتهل والعمر في ربيع الأمل ، والزهر الذي سوّح والعطر في رياض الشباب !

من هو ؟ لا أحد يعرفه ... لقد عاش غريبًا في دنياه : همسة تنطلق من فجاج الصمت لتتلاشى في سكون العدم ، ومضة تشع من وراء الأبد لتغيب في ظلام اليأس ، ولحن ينساب من أوتار الزمن ليشجي كل عابر سبيل !

يخيل إليّ أنه لم يكن بشرًا من البشر ... لقد كان روحًا : روحًا شرب من خمرة الأسى المتقدة في دنان الشجن حتى ثمل ، وكأن الأيام حين طافت عليه بكؤوسها قد ثملت معه فنسيت غيره من الشاربين . وكان طيفًا : طيفًا شفه الحزن حتى لكأن الوجود مأتم كبير ، ترملت فيه أحلامه ومنيت بالثكل أمانيه ، فكل تعزية في حساب الشعور وهم لا يجدي وسلوة لا تعين !

تسألني عنه ؟ ... لقد كان « قارئًا » من قراء « الرسالة » ، حدثني عن نفسه يومًا فكتبت إليه ، وشكا إلى الحياة فأشفقت عليه ، ثم لم نلتق بعد ذلك إلا في عالم الرؤى والطيوف ! كل ما يبقى منه سطور رأيته من خلالها رأي الفكر ، وصورة رأيته من ظلالها رأي العين ... وما تستطيع يدي بعد اليوم أن تمتد إلى رسائله ... وما تستطيع عيني بعد اليوم أن تنظر إلى صورته . رباه إني لا أخشى أن تحرقني ناره إذا ما قرأت ، ولكنني أهاب نبش القبور إذا رقدت فيها الذكريات ... ولا أن يلوعني وهج نوره إذا ما نظرت ، ولكنني أفزع من رؤية الشموس إذا احتضرت على فراش الغروب !

لقد كانت كل رسالة من رسائله تحمل إلى معنى من معاني القبر

في كلماتها كم شهدت مصرع الفكر ، وفي زفراتها كم سمعت رائحة الموت ، وفي أنينها كم سمعت صوت النساة . وكم أشفقت أن يصبح الظن حقيقة ... وأن أصحو يوماً على وقع أقدام المشيعين

ألا ما أعجب القدر حين يفرق بين الناس ويدفع بكل حي إلى طريق ... بسمة ترف على الشفاه هنا ودمعة تقرح الجفون هناك وحياة في موكب الصفو تمضي وحياة في موكب الشجو تقيم ، وكأس مراجها الشهد تتكاثر وليس فيها للحيارى نصيب ، وليل يقصر وليل يطول ... وندامى ... ويتامى ... ونزعة يهتز منها شعور وحرقة تلتهب منها صدور ، وياجرعة الصبر في قلوب الصابرين ما أعمق مرارتك ، حين يصور لك الوهم أن في التراب أكواباً من الماء !

من حمرة الشفق حيث طويت الشمس الغاربة ، يصطخب اليوم وجداني وأنا أستعيد ذكرى حياة ... حياة أشبه بحيرة الغريب دفعت به المقادير إلى دار غير داره ، فكل ما فيها خواء يبعث على الشكوى ويغري بالرحيل ! ... ولكم وقفت منه موقف الطبيب من مريض تبخرت قطرات الأمل في شفائه : مبضعي الذي يفتش عن مكامن الداء قلم ، ودوائي الذي يأسو جراح الزمن كلمات . وكان هذا هو كل ما أملكه ... أعالج بالقلم ودماء القلب تنزف ، وأسباب الرجاء تخيب ، وزورق العمر يمخر العباب والضباب إلى شواطئ الفناء !

رباه ، لقد كنت رحيما به حين أخذته ... لقد تحملت سنواته السبع والعشرون فوق ما يحمل طوق الأحياء من عبادك !!

جيته بعد قرنين من ميلاده :

تحت هذا العنوان كتب الأستاذ عباس محمود العقاد مقالا في عدد أكتوبر من مجلة « الكتاب » جاء فيه : « كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين ، وهو إمام الوجودية الألمانية غير مدافع ، وله آراء في علم النفس وأدب السلوك تعد من مبتدعات المذاهب الأخلاقية في القرن العشرين ، ومن أجل هذه الآراء يعول على تقديره الشاعر الألماني الأكبر جيته في ذكرى ميلاده ، بعد انقضاء مائتي عام على ذلك الميلاد ... قال ياسبر عن منزلة جيته الأدبية : إنه وإن يكن أعظم الشعراء الثمانيين في الألمان ، وعلى الرغم من التقدير العالي العظيم الذي نالته رواياته (فاوست) ، لا يقف في عالم الأدب موقف الند من هومير أو دانتي أو شكسبير على أساس عمل خاص من أعماله . ولكنه منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته ، وهي تلك الشخصية التي كان الشعر والبحث العلمي والجهود العملية من عناصرها الأولية !

وتقدير ياسبر هذا يطابق تقديرنا للنابغة الألماني العظيم فيما كتبناه قبل سبع عشرة سنة ، لمناسبة الاحتفال بانقضاء مائة سنة على وفاته ، فقد قلنا عنه في رسالة صغيرة : إن جيته من العبقريين الذين لا ينبيء قليلهم عن كثيرهم لأنه لم يجمع نفسه في قطعة واحدة ولا موضوع واحد . فهو كثير الجوانب كثير التجزئة : الموضوع الواحد عنده لا يدل على كل موضوعاته ، والجزء الصغير لا يدل على جملة الموضوع ، فكل فكرة له هي أصغر من الرجل في جميع أفكاره » !

أود أن أقف قليلا لأناقش هذه الآراء ، وأول شيء يستوجب الوقوف ويدعو إلى التعقيب قول الأستاذ العقاد إن كارل ياسبر هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع . وأظن أن تاريخ الفلسفة المعاصرة سيقرر أن الفيلسوف الألماني هيدجر لا « ياسبر » هو أشهر فلاسفة الألمان المعاصرين وإمام الوجودية الألمانية غير مدافع ... وحسبنا في مجال التدليل على صحة هذا الرأي أن نقول إن الوجودية الفرنسية عند « سارتر » قد اتجهت في تقرير مذاهبها إلى الوجودية الألمانية عند « هيدجر » ، وأن فلسفة هذا الأخير كانت المنبع الأصيل الذي تدفقت منه القطرات الأولى في الوجودية السارترية ، أو الحقل الأول الذي استمد منه الفيلسوف الفرنسي بذوره الفكرية الضخمة ، تلك التي أينعت وأثمرت في الوجود والعدم L' être et Le néant « ...

أما عن رأي ياسبر في منزلة جيته الأدبية فهو رأي عجيب ، ومصدر العجب فيه تلك الموازنة بين أديب وأديب على أساس عمل خاص من أعماله الفنية ... إن الموازنة على هذا الأساس باطلة ، لأن الميزان الحق لأقدار الأدباء لا يقام على أساس فكرة واحدة أو رأي واحد أو كتاب واحد يضم بين دفتيه عدداً من الآراء والأفكار ، وإنما يقام الميزان الحق في مجال الموازنة بين

أديب وأديب بأن يوضع إنتاج هذا كله فى كفة ، وأن يوضع فى الكفة الأخرى إنتاج ذاك — عندئذ يصح الحكم ويستقيم التقدير لأننا نضع عالماً من الفكر أمام عالم ، ونقابل فى ميدان الذهنية المبدعة بين حياة وحياة . إننا إذا وازنا مثلا بين فاوست والإلياذة ، أو بين فاوست والكوميديا الإلهية ، أو بين فاوست وهملت ، لنخرج من هذه الموازنة بأن جيته على أساس هذا العمل الخاص من أعماله لايقف موقف الند من هومير أو دانتى أو شكسبير ، كما كمثل من يوازن بين شارع فى برلين وثلاثة شوارع أخرى فى أثينا وروما ولندن ، لندلل على أن المدينة الأولى لاتقف فى مجال الضخامة أو الجمال أو النظافة موقف الند من المدن الثلاث الأخريات — تلك ولا شك موازنة لا تليق ومنطق لا يروق !

ورب قارئ يعترض على نقدنا لهذا الشق الأول من رأى ياسبر بأن الشق الأخير يتفق وهذا التصحيح ، وهو الشق الذى ينادى فيه الفيلسوف الألمانى بأن جيته منقطع النظير حين نقيسه بمجموعة أعماله وجوانب شخصيته — إن ردنا عليه هو أن جيته ليس منقطع النظير فى رأى ياسبر بمجموعة أعماله الأدبية وحدها ولكنه منقطع النظير بشخصيته المتعددة الجوانب والمواهب والملكات ، ويدخل فى ذلك أدبه وبحوثه العلمية وجهوده العملية !

وأعجب العجب بعد هذا كله أن ينظر الفيلسوف الألمانى ياسبر إلى الشاعر الألمانى جيته نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من شكسبير ، وأن ينظر الكاتب الإنجليزى كارليل إلى الشاعر الإنجليزى شكسبير نظرة قوامها أنه لا يقف فى ميدان الأدب موقف الند من جيته — ذلك لأن لكارليل فى شاعر الألمان الأكبر رأياً مبروماً سجلته من قبل على صفحات الرسالة ، وهو أن جيته أعظم أدباء العالم بلا استثناء !!

حديث لم يخطر لى على بال :

فى العدد (٢٢٥) من مجلة السامرات ، وفى الصفحة الثامنة والعشرين يمكنك أن تقرأ مقالاً هذا عنوانه : « بين الشيوخ والشباب ما صنع الحداد » — مقالا مهدت له المجلة بهذه الكلمات « هى معركة لم تنته بعد ، بين الشيوخ والشباب — فأولئك يتهمون الجيل الجديد بالسرعة وعدم الاستقرار ، وهؤلاء يتهمون السالفين بالجمود والرجعية . وفيما يلى عرض « السامرات » مجموعة إجابات من الجيلين » .

وبعد أن سجلت المجلة عدداً من الآراء لفريق من شيوخ الأدب وفريق من شبابه ، بعد هذا جاء دور أنور المعداوى فقال : « إننا نقدر الشيوخ لأنهم فتحوا أعيننا على الكثير ، وهذا التقدير يقف حائلاً بيننا وبين إعلان سخطنا عن التواء بعضهم — إن الكاتب ينبغى أن يكون إنساناً قبل كل شىء . وحينما يكون إنساناً تسقط عنه العصبية السخيفة ، فلا تجد فارقاً بين كاتب وكاتب — وما أقل الكاتب الإنسان عندنا » !

أشهد أن حديثاً كهذا لم يخطر لى على بال ، وأشهد أن مجلة السامرات لم تسألنى فى أى يوم من الأيام عن رأيى فى أى موضوع عرضت له ، ولو سألتنى لما أجبت — لأن فى مثل هذه الأحاديث سخفاً لا أحب أن أشارك فيه ، ولكنها الصحافة المصرية تنطق الناس بما تشاء لا بما يشاءون ! صدقنى لو أنطقتنى «السامرات» بما يمكن أن أنطق به لهان الأمر ولكنها — عفا الله عنها — قد جعلت الشيوخ — مع احترامى لهم — يفتحون عينى على الكثير ، وجعلتنى — سامحها الله — إنساناً يلتث به الإنسانية ذلك الحد من التسامح الذى لا أفرق عنده بين كاتب وكاتب ! .. إن مجلة « السامرات » تذكرنى ببعض كتاب القصة والمسرحية فى مصر ، أولئك الذين ينطقون أبطال خيالهم بما لا يمكن أن تنطقهم به الحياة ! !

حول الأمانة العلمية فى الجامعة :

يذكر القراء تلك القضية التى عرضتها على محكمة الرأى العام الفنى فى عدد مضى من « الرسالة » ، وأعنى بها قضية الأمانة العلمية بين أستاذين فى الجامعة ، هما الدكتور محمد فؤاد شكرى والدكتور جمال الدين الشيال . ولقد سألنى الكثيرون لماذا لم يرد الدكتور شكرى على ما اتهم به من السطو على رسالة زميله وقد انقضت على ذلك أيام وايام ؟ ... أما أنا فقد كنت على وشك أن أعقب على موضوع الأمانة العلمية ظناً منى أن الدكتور شكرى قد آثر السلامة فلاذ بالصمت ، ولكن أحد زملائه فى الجامعة قد أنبأنى بأنه مغترب عن وطنه منذ بعيد فى مهمة سياسية ، ولهذا أرجىء التعقيب مرة أخرى حتى يعود ونسمع دفاعه .

أنور المعداوى